﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحجر: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الأرضُ مَوضعُ مَعايِشِ النّاسِ ورِزقِهم فيها

لمّا أخبرَ اللّه تعالى أنَّه يعلمُ المقدارَ الذي يحتاجُ إليه النّاسُ وينتفِعون منه، فيُنبتُ اللّه تعالى ذلك المقدارَ أتْبَعه بقوله ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾؛ لأنَّ ذلك الرِّزْقَ الَّذي يَظْهَرُ بِالنَّباتِ يَكونُ مَعيشَةً لَهُم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَعَٰيِشَ﴾: (عيش): أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على حَياةٍ وبَقاءٍ، قال الخَليلُ: العَيْشُ: الحَياةُ. والمَعيشَةُ: التي يَعيشُ بها الإنسانُ: من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ وما تَكونُ بِهِ الحَياةُ. والمَعيشَةُ والمَعيشُ: اسْمٌ لِما يُعاشُ به[2]. والمَعاشُ يَجْري مَجْرَى العَيْشِ. تَقولُ عاشَ يَعيشُ عَيْشًا ومَعاشًا. وكُلُّ شَيْءٍ يُعاشُ بِهِ أوْ فيهِ فَهو مُعاشٌ[3]. والمعايشُ في الآية: جَمعُ مَعيشَةٍ، وهي ما يَعيشُ به الحَيُّ من مَطْعَمٍ ومَشْرَبٍ وما تَكونُ بِهِ الحَياةُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الكائناتُ كلُّها يَرزقُها اللهُ ﷻ ويُقدِّرُ لها أقواتَها

يقولُ الحقُّ تعالى: وهيَّأْنا لكم في الأرضِ أيُّها النّاسُ ما تعيشونَ به مِنَ المطاعِمِ والمَشارِبِ، ويسَّرْنا لكم أنواعَ المكاسِبِ، وجَعَلْنا لكمُ الأولادَ والعَبيدَ والدَّوابَّ والأنعامَ الَّتي نَرزُقُها نحنُ لا أنتم[4].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/131.
(2) الخليل، العين، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عيش).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عيش).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 14/37، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/167، و10/13، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/529.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دَلالةُ التّعبيرِ بالآية:

الاستدلالُ بخلْقِ المَعايشِ على كمالِ القُدرةِ وبَديعِ الحِكْمة وتفرُّدِ الأُلوهيّته

فَذْلَكَةُ الآيةِ أنّه لمّا ذكرَ اللّه تعالى أنَّه جعَلَ الأرضَ مَمدودةً بمقدارٍ وشكْلٍ معيَّنَيْن، مُختلفةَ الأجزاء في الوضْعِ مُحدِثًا فيها أنواعَ النّباتِ والحيوانِ المختلفةِ خِلْقَةً وطبيعةً، مع جوازِ ألّا تكونَ كذلك كان الكلامُ على طريق الاستدلالِ على كمال قُدرته وتناهي حِكْمته، والتَّفرُّدِ في الأُلوهيَّةِ والامتنانِ على العبادِ بما أنعمَ عليهم في ذلك؛ ليوحِّدوه ويَعبدوه[1].

نُكتةُ التّعبيرِ بلفْظِ ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

إبداعُ اللهِ تعالى في إنشاءِ أنواعِ المَعايشِ للنّاسِ

عُبِّرَ بالفعْلِ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ للإيذانِ بإبداعِه تعالى في إنشاءِ أنواعِ المعايشِ التي تفيدُ النّاسَ في حياتِهم.

دَلالةُ اللّامِ في قولِه ﴿لَكُمْ﴾:

التَّذكيرُ بنِعمةِ اللهِ على الخلْقِ بإيجادِ المَعايشِ لأجْلِهم

أفادتِ اللّامُ الاختصاصَ، بمعنى: جعَلْنا في الأرض مَعايشَ خاصَّةً لكم، أي: قد أوجدَها اللّه تعالى لأجْلِكم، ففيه تذكيرٌ بنِعمتِه سُبحانه على جميعِ الخلْقِ.

فائدةُ تقديمِ ﴿لَكُمْ﴾:

تقريرُ اختصاصِ المَعايشِ بالخلْقِ زيادةً في مِنَّةِ اللهِ وفضْلِه

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ به التّأكيدَ والقصْرَ الإضافيَّ؛ ليُفيدَ تقريرَ اختصاصِ المَعايشِ لهم، زيادةً في مِنَّة اللّه وفضْلِه عليهم.

دَلالةُ الضّميرِ في قولِه ﴿فِيهَا﴾:

كثرةُ المَعاني بالألفاظِ القليلةِ

يحتملُ أن يعودَ الضّميرُ على الأرضِ وحدَها، وأن يعودَ على الأرضِ ورواسيها؛ وهو الظّاهرُ، ليكونَ من عطْفِ الضّميرِ على الاسْمِ الظّاهرِ بما اتّصفَ به، فإنَّ إلقاءَ الرّواسي في الأرضِ بمثابةِ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/209.

وصْفٍ لها، كما أنَّ المعايشَ موجودةٌ في الأرضِ والجبالِ، كما هو الواقعُ[1]، أي: وجعلْنا لكم في الأرضِ وفي الجبالِ الرّواسي معايشَ تكثيرًا للنِّعمِ، ويحتملُ أن يعودَ على الجبالِ الرّواسي وحدَها، وتكونُ الدّلالةُ على جعْلِ المعايشِ في الأرض من بابٍ أولَى.

فائدةُ تقديمِ ﴿فِيهَا﴾:

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ الحصْرَ، فإمّا أن يكونَ منَ الحصْرِ الحقيقيّ؛ ليُفيدَ أنَّ معايشَ الخلْقِ على المجموعِ لا تكونُ في غيرِ الأرضِ التي يعيش النّاسُ عليها، وإمّا أن يكونَ منَ الحصْرِ الإضافيّ؛ ليفيدَ أنَّ المعايشَ لا تكونُ في غير الأرض باعتبارِ معيشتِكم فيها، كما أفاد التّقديمُ تأكيدَ جعْلِ اللّه تعالى المَعايشَ في الأرضِ، وتدخلُ الجبالُ في الأرضِ كما تقدَّمَ.

من سوءِ الظّنِّ باللهِ أن يَعتقدَ الإنسانُ أنَّ أرزاقَ الأرضِ لن تَكفيَ النّاسَ

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾:

أفادَ التّعبيرُ بصيغةِ الجمْعِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ العُمومَ؛ لورودِ اللّفظِ نَكرةً في سياقِ الامتنانِ، ويفيدُ مع العمومِ التَّنَوُّعَ والتَّغايُرَ، ولَمّا كان لفظُ العيشِ يعمُّ المأكولَ الذي يُعاشُ به والتّحرُّفَ الذي يُؤدّي إليه كان المُرادُ من لفْظِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾ الذي جاء بصيغةِ مُنتهى الجُموعِ كلَّ ما يعيشُ به الإنسانُ في هذه الأرضِ ممّا يتعلَّقُ به البقاءُ وما يكونُ به الحياةُ، فالمعيشةُ أخصُّ منَ الحياة، فيدخلُ في اللّفظ المطاعمُ والمشاربُ والملابسُ، وكلُّ ما يتحقّقُ به العيشُ وما يكونُ سببًا له، ومنه طلبُ أسبابِ الرّزقِ بالكسبِ والتَّصرُّفِ من حِرفةٍ أو زراعةٍ أو تجارةٍ أو أيِّ عملٍ[2].

طلبُ أسبابِ الرِّزقِ منَ المعايشِ التي أنعمَ اللهُ بها على النّاسِ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/430.

(2) الماوردي، النكت والعيون: 3/154، والواحدي، التفسير البسيط: 9/29، والزمخشري، الكشاف: 2/89، وابن عطية، المحرّر الوجيز: 2/377.

دَلالةُ العطْفِ في ﴿وَمَن لَّسْتُمْ﴾:

نِعَمُ الله كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ، فلا تَنْتهي أفْضالُه ﷻ

يحتملُ أن تكونَ الواوُ قد عطفتِ الاسْمَ الموصولَ ﴿وَمَن﴾ على ﴿مَعَٰيِشَ﴾، والتّقديرُ: جعلْنا لكم فيها مَنْ لسْتُم له برازقين منَ العيالِ والخَدَم والدّوابِّ وما أشبهَها، وهذا التّقديرُ هو الظّاهرُ، وعليه جمهورُ المُفسّرين، ويحتملُ أن يكونَ الاسْمُ الموصولُ منصوبًا بالعطفِ على محلِّ ﴿لَكُمْ﴾، والتّقديرُ: جعَلْنا لكم معايشَ ولمن لسْتُم له برازقين، فيكونُ المرادُ مِن ﴿وَمَن﴾ الدّوابَّ والوحوشَ أي غيرَ العاقلِ، وهذا التَّقديرُ نقلَه بعضُ المُفسّرين[1]، ولا مانعَ من إرادةِ المعنَيَيْن معًا، فالقرآنُ حمّالُ وُجوهٍ.

فائدةُ التّعبيرِ بـ﴿وَمَن﴾:

الإيـذانُ بتَمامِ نِعمةِ الله على النّاسِ إذ جعَلَ لهم المعايش في الأرضِ

لمّا كان (مَنْ) يأتي للعاقلِ، وكان المرادُ منَ الاسْمِ الموصولِ ﴿وَمَن﴾ العيالَ والخدمَ والدَّوابَّ والأنعامَ وما أشْبهَها كما هو الظّاهرُ، كان دخولُ غيرِ العاقل في معنى (مَنْ) دالًّا على أنَّها جاءت على طريقة تغليبِ العاقلِ على غيره، لفضيلةِ العقلِ والتّمْييزِ، وسببُ العطْفِ هو لِردِّ حُسبانِهم أنَّهم يَكفون مؤونتَهم، أي قد كفاكُم اللّهُ مؤونةَ أرزاقِها، ولِتحقيقِ أنَّ اللّه تعالى هو الذي يَرزقُهم وإيّاكم، وللإشعارِ بتَمامِ نعمةِ اللّه على النّاس؛ إذ جعلَ لهم في هذه الأرضِ العيالَ والخدمَ والأنعامَ وغيرَها، وعلى القولِ بأنَّ (مَنْ) لغير العاقلِ فنُكتةُ التّعبيرِ به هو أنَّه لما وُصِفتِ الوحوشُ وغيرُها بالمعاشِ الذي الغالبُ عليه أن يوصَفَ به النّاسُ - إذ يقالُ: الآدميُّ يتعيّشُ، ولا يقال: الفرسُ يتعيّشُ - جرتِ الوحوشُ والدّوابُّ مَجرى العقلاءِ في التّسميةِ، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: 18][2].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/82، والزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/177.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 12/573، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/528، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/71، والبروسوي، روح البيان: 4/452.

فائدةُ تقديمِ (له): ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾:

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ على مُتعلَّقِه التّخصيصَ الإضافيَّ، بمعنى إذا كان النّاسُ لا يَقْدرون على رزقِ المَذكورين فلا رازقَ لهم إلّا ربُّهم سُبحانَه، كما أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ تأكيدَ نفْيِ قُدرتِهم على رزقِ المَذكورين، ولمّا كان الضّميرُ في ﴿لَهُۥ﴾ عائدًا على الاسْمِ الموصولِ ﴿وَمَن﴾ الدّالِّ على العمومِ أفادَ عمومَ الضّميرِ، والمعنى ومن لسْتُم برازقين لكلِّ مَن لا قُدرةَ لكم على رزْقِه.

الـرّزقُ لا يكونُ إلّا من الخالق ﷻ

سببُ إيثارِ النّفْيِ ﴿لَّسْتُمْ﴾:

أفادَ النّفيُ بـ(ليسَ) استمرارَ نفْيِ رزقِهم لِما يتضمَّنُه لفظُ العمومِ ﴿وَمَن﴾، لتفيدَ (ليس) نفْيَ الماضي والحالِ واستمرارَ النّفْيِ في المستقبل من غيرِ انقطاعٍ[1].

استمرارُ نفْيِ قُدرةِ النّاسِ على رزْقِ المَخلوقين

دَلالةُ الخبرِ في ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾:

دلَّ الخبرُ على فائدتِه، وهي نفيُ أن يكونوا همُ الرّازقين خلْقًا أو سببًا، ليكونَ ردًّا على خطأ حُسبانِهم في أن يكونوا همُ الرّازقين بتَيْسيرِ أسبابِ العمَلِ والمكاسبِ، ودلَّ بلازمِه على أنّ اللّه هو الرّازقُ على الحقيقةِ، فهو تعالى يَرزقُهم وإيّاهم.

تَيْسيرُ أسبابِ الرّزقِ منَ الرّزّاقِ

فائدةُ الباءِ في قولِه ﴿بِرَٰزِقِينَ﴾:

أفادتِ الباءُ المُبالغةَ في التّخصيصِ على نفْيِ العُمومِ والمُبالغةِ في نفْيِه، أوِ الاحتراسِ من إرادةِ التّخصيصِ بحالٍ منَ الأحوال، بمعنى تأكيدِ نفْيِ قُدرتكم على رِزْقِهم في أيِّ حالٍ منَ الأحوالِ.

تأكيدُ نفْيِ قُدرةِ النّاسِ على الرّزقِ في أيِّ حالٍ منَ الأحوالِ

دَلالةُ لفظِ ﴿بِرَٰزِقِينَ﴾:

دلَّ التّعبيرُ بصيغةِ اسْمِ الفاعلِ على أنَّ المرادَ لسْتُم برازقين له حقيقةً ولسْتُم بسببٍ له، ولا مَدْخلَ لكم فيه، وإنْ كنتم أقوياءَ

الله تعالى خالقُ الرّزقِ وأسبابَه

(1) السامرائي، معاني النحو: 4/190.

مُجتمِعين؛ لِيفيدَ النّفيُ رفعَ توهُّم أن يكونَ لهم أيُّ سببٍ في الرّزق أو في إثباتِه لهم، فالرّازقُ على الحقيقةِ بالخلْقِ والعطاءِ وتَيْسيرِ السّببِ للوُصولِ إلى الرّزقِ هو الله تعالى بعظيمِ خلْقِه وبديعِ إنشائِه[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المَعيشةُ والحياةُ:

المَعيشةُ أخصُّ مِنَ الحياةِ، وهي اسْمٌ لأسْبابِها

العيشُ اسمٌ لِما هو سببُ الحياة منَ الأكل والشّرب وما بِسبيلِ ذلك، والشّاهدُ قولُهم (مَعيشةُ فلانٍ من كذا) يَعنون مأكلَه ومَشربَه ممّا هو سببٌ لبقاءِ حياتِه، ولمّا كانتِ المَعيشةُ منَ العيش لِما تكونُ به الحياةُ والبقاءُ منَ الطّعامِ والشّرابِ والمَلبسِ وغيرِها، فتكونُ المعيشةُ خاصَّةً بالحيوانِ كانتِ المَعيشةُ أخصَّ منَ الحياة؛ لأنّ الحياةَ تقالُ في الحيوان، وفي الباري ﷻ، وأمّا المعيشةُ فلا يوصَفُ بها الله تعالى؛ لأنّ فيها معنى العجْزِ والاحتياجِ، والمَعيشةُ اسمٌ لِما يُتَعَيَّشُ منه[2].

(1) الراغب، المفردات: (رزق).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 102، والراغب، المفردات: (عيش)، والكفويّ، الكلّيات، ص: 651.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 25 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-22-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 25 : المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الحِجْر الآية 99.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-22-7
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»